

حقائق التأويل

[41] وانه الولد النابه لابي احمد النقيب أجل رجال العاصمة، وإلا شاعريته التي يخطبها كافة عظماء وقته إشاعة لكرامتهم وإشهارا لعظمتهم. هذا غير ما تولد له أخيرا وتوطد من الجد بأعمال الادارة، والقدرة على تصريف الرأي العام كما يشاء، وكأن نشأته وتربيته وأسسته تقربه إلى قصور الملوك والامراء والى رجال الدولة في دواوين الشورى والحكم. ولئن كانت الغاية المحموده تبرر الوساطة، فما من منقصة لو كال شعره لهم ليربح مودتهم ويسخرهم في تنفيذ اغراضه، مع الاحتفاظ بكرامته، لان تلك التهاني في المواسم وتلك المراثي وتلك المدائح التي تعلوها الروعة والوقار، ممتزجة بروح قوية من نفسه الصعبة المراس التي تأبى الملق والتبصيص لابعد غاية، ولذلك نجده في كثير من الاحايين يقع من شاعريته في مشكلة دقيقة دقيقة المخرج: نراه واقفا بين نفس ماذحة صعبة الانقياد، وبين اخرى ممدوحة جبارة لا تقبل اي عذر في ترك المدح. ولنفس هذا الغرض كانت مدائحه الفخمة لشرف الدولة وبهاء الدولة ومن بعدهما متواليه، وكأنها حاضرة عنده سوى انه ينتهزها الفرص ويتحين لها المناسبات الزمنية، كالاعياد والنوايرز ليكيلها لهم بغير صاع. وها هو ذا يعتذر عن ذلك بقوله: وما قولي الاشعار إلا ذريعة * إلى امل قد حان قود جنيبه واني إذا ما بلغ ا[منيتي * ضمنت له هجر القريض وحبوه صلتته بالطائع: إن صلة الشريف بالطائع لم تكن للحصول على محاولاته من جاه أو
